مقدمـــــة

عبد العزيز الخضر

ذكرى حادثة الحرم قسمت التاريخ في ذاكرة السعوديين إلى ما قبل وما بعد (١/ ١/ ١٤٠٠ هـ) فاختلفت رؤية كل قضية في المجتمع بعد هذا التاريخ الذي تحوّل معه السياق الاجتماعي كليّاً، وأحدث انقلاباً في المفاهيم والتصورات ما زالت آثاره باقية بعد أكثر من ثلاثة عقود. لقد كانت الصدمة التي استقبلها المجتمع تفوق قدراته ووعيه، وهو في خطواته الأولى في التنمية نحو الحداثة لتشكيل المملكة العربية السعودية الجديدة كدولة عصرية بعد الثورة النفطية، وتحول هذا الحدث أحياناً إلى كابوس غامض في ذهن بعض النخب الاجتماعية والسياسية أثّر في حركة التاريخ المحلي في ما بعد.

خلال أحداث الحرم المكي، قرأنا حجم الصدمة في عيون كبار السن وارتباك الإعلام ومذيع نشرة الأخبار، وتأمّلنا قلق المجتمع في وجوه الآباء والأمهات والمعلّمين وهم لا يستطيعون التفاعل مع أسئلة الأطفال البريئة في تلك

الأيام قبل أن تكبر معهم أسئلتهم. أحسّ الجميع بقلق من نوع آخر عند الكبار والصغار على المقدسّات: الكعبة قبلة المسلمين والحرم المكي، ومشاعر الخوف على الاستقرار وأمن الوطن والمستقبل، المجتمع في بدايات تذوقّه نعمة التمدّن وارتفاع مستوى المعيشة.

ترقّب العالم كله بقلقٍ أحداث الأيام الأولى من القرن الهجري الجديد، قبل أن تنكشف الأمور وتعود الحياة إلى طبيعتها سريعاً. كثير من وسائل الإعلام العالمية تخبطت في نقل الأخبار، وظهرت الكثير من التحليلات في المحيط العربي بعيدة عن تصور طبيعة ما حدث، فتضخّمت بعض الأوهام والمغالطات التي كشفت ضحالة الخطاب الثوري العربي السائد حينها ووعيه المحكوم بالأمنيات ضد ما يسمّيه بالدول الرجعية أكثر من التعامل بعقلانية مع حقائق الواقع.

كان الحدث ـ بعيداً عن القراءات السياسية ـ يمثّل صدمة نفسية للإنسان المسلم في أي مكان عندما تمسّ قدسية أطهر بقعة في وجدانه باستعمال مبادئ وشعارات إسلامية! فالحدث لم يدخل التاريخ فقط وإنما استقر بخصوصيته وغرابته في مخيّلة الكثير من أبناء الجيل الذي عاصر الحدث صغيراً أو كبيراً، وظلّت هالة الغموض والأسئلة المعلّقة أكبر من الصدمة ذاتها!

منذ ذلك الوقت توالت خارج حدود المملكة مقالات وكتابات ودراسات تناولت هذا الحدث بناءً على رؤى وأدبيات سادت حول الحركات الإسلامية في العالم العربي. لم تُجِب

هذه الكتابات عن كثير من الأسئلة حول الحدث، وفشلت في تفسير خصوصيته في بعض الأوجه مقارنةً بسياق تطور فكر الحركات الإسلامية المعاصرة ومشروعاتها السياسية. ومن لديه اطلاع على هذه الكتابات سيجد أن أهم عوامل إخفاقها في إدراك خصوصية وغرابة الحادثة هو غياب بعض التفاصيل حول جوانب إنسانية وخصائص شخصية لدى بعض الذين قادوا هذه العملية، فقُدمت قراءات لا تخلوا من تناقضات واستنتاجات سياسية واجتماعية غير دقيقة عن السعودية.

كان الصمت أحد أفضل الخيارات المعقولة حينها لامتصاص هذه الصدمة وترميم مشاعر المجتمع بأسرع وقت، وإغلاق ملف الحدث كمحاولة لتقليل الأضرار بأقل قدر ممكن، لكن ذاكرة الكثير من أبناء ذلك الجيل احتفظت بمشاهد الألم وأسئلة ما بعد الصدمة: ماذا حدث وكيف ولماذا!؟

بعد أكثر من عقدين عادت الإشارة إلى هذه الحادثة محلياً بين فترة وأخرى في كتابات ما بعد أيلول/سبتمبر في الخطاب الإعلامي والصحفي، لكن الخطاب الثقافي السعودي يعاني فراغات مبكرة في الوعي بالظاهرة الإسلامية وتطورها الفكري.

أيام مع جهيمان، يأتي هذا الكتاب للأستاذ ناصر الحزيمي ليُحدث نقلة في الوعي بحقيقة ما حدث ويقدم مشاهدات حية عن سيرة وتطورات هذا الفكر في السبعينيات، ليس بوصفه ناقلاً من مصدر ما، وإنما بوصفه

معايشاً لهذه التطورات وإلى أين انتهت. لقد تمكّن بأسلوب جذاب ولغة سهلة وغير متكلّفة من كشف الكثير من الملامح الداخلية للجماعة السلفية المحتسبة، وتحولاتها منذ بداياتها في منتصف الستينيات. تبدو قيمة هذا الكتاب في أنه كشف جوانب وطبائع شخصية عند جهيمان وجماعته، حيث تمكّن من تقريب سلوكيات وتفكير ومهارات هذه الشخصية للقارئ كما عايشها، لتجيب على تساؤلات كثيرة وتزيل حالة من الغموض استمرت طويلاً حول الحدث وشخصياته. وقد جاءت سطور الكتاب بأسلوب يخلو من التعسّف بالألفاظ والتهويل بالتحليلات، فنقل القارئ إلى سيرة ووقائع الأحداث بتسلسل زمني من خلال المعايشة الشخصية.

يأتي هذا الكتاب كخطوة ريادية في تقديم مذكرات شخصية حول أحداث مهمة في مجتمعنا السعودي، وكوثيقة تاريخية تفوق أهمية دراسات وكتب ومقالات، لأنها جعلت القارئ أمام المادة الخام لقصة ما حدث، وبعض التفاصيل التي يصعب على أيّ باحث استنتاجها من دون معايشة.

إن وجود بعض الإشكاليات المتداخلة في طبيعة الحدث تربك الوعي بتفسيره، وتزيد من صعوبة فهمه عند الكثيرين حتى لو وفّرت الجهات الرسمية المعلومات الحقيقية أمام المجتمع. يبدو كتاب **أيام مع جهيمان** كفيلم وثائقي قادر على ملء الفراغات حول بعض الإشكاليات والأسئلة التي ظلت عالقة، فسهولة العرض والسرد المباشر أدى إلى تماسك الحكاية في كثير من تفاصيلها، فمن لديه قراءات مسبقة

وخلفية تاريخية جيدة عن الحادثة سيدرك قيمة وصدقية ما يقدمه هذا الكتاب.

عرض الكتاب مشاهد ثمينة حول مظاهر وملامح بدايات الصحوة الإسلامية في الخليج والسعودية. ومن خلال التحاقه بحلق العلم الشرعي في الحرم المكي ومدن أخرى، قدم للباحثين إشارات مهمة عن لقاءات بعض الشخصيات من الجماعات الإسلامية والمذاهب الأخرى مع الفكر السلفي المحلي في السعودية، وقد جاءت وفق سياقات معقولة من دون تهويلات ومبالغات. لقد وردت أسماء شخصيات مهمة في الحركات الإسلامية والفكر السلفي المعاصر، ووصفت بعض البدايات في مسيرة الصحوة، التسجيلات الإسلامية وتاريخ بداياتها وبعض الكتب المتداولة، وأنواع النشاط الدعوي والاهتمامات العلمية، وبعض الانقسامات التي حدثت بين تيارات إسلامية وسلفية وأسبابها، بيئة الحرم المكي وطبيعة الدروس المتوافرة حينها، والأنظمة التي تحكمها ونوعية الرقابة، وبروز دور لبعض الشخصيات غير المشهورة الآن في محيط الإسلاميين. وعرض لبعض الفروقات في أسلوب المعيشة بين جماعة وأخرى، أو الجماعة نفسها عندما يتغير المكان كالسلفية في الكويت والسعودية، وإشارات لبعض المشكلات الفقهية التي واجهها الفكر السلفي التقليدي حول بعض المستجدات.

تمكن المؤلف من وصف الظروف الحياتية التي مرّ بها شخصياً، وسيرة جهيمان وتطوراته الشخصية ومستواه العلمي

ووعيه الشرعي، والموقف النفسي حول بعض القضايا والقيم الاجتماعية ودور المكان والبيئة في بناء شخصيته، وهو وصف معتدل يعالج الكثير من التناقضات التي وقع بها بعض الباحثين في تناول رسائله الحقيقية أو المنسوبة إليه ومشروعه ودوره الحقيقي، ورؤية الحاكمية في فكر جهيمان.

من أهم الإشكاليات التي يعالجها الكتاب والتي كان لها دور كبير في ظهور تصورات شرعية خاطئة عند جهيمان وجماعته: قضية الرؤى والأحلام وحضورها لديهم، وكيف أدّت إلى انحراف التطبيق وتصديق فكرة ظهور المهدي وطلب مبايعته. وفي الملحق تضمّن الكتاب حوارات صحفية مميزة تعرض الكثير من التساؤلات التي ستفيد الباحثين في تطورات الفكر في عالمنا العربي.

كتب المذكرات والسير الحقيقية لشخصيات معروفة في أي مجال لها نكهة خاصة وقيمة علمية وتاريخية، تفوق أحياناً في أهميتها الكثير من الأبحاث والدراسات الأكاديمية في صناعة الوعي والاستفادة من دروس الماضي. مجتمعنا السعودي لم يترسخ فيه بعد هذا النمط من التأليف والكتابة، لهذا تبدو مبادرة الكاتب ناصر الحزيمي ذات قيمة ريادية في خلق مثل هذه الثقافة محلياً، وهو يقدم لنا كتابه النادر في مجاله **أيام مع جهيمان**.

٤/٩/٢٠١٠م